النظرية النسبية

في ضوء النظرية التربوية الإسلامية

أ/ تهاني محمد براك الصاعدي

النظرية النسبية في ضوء النظرية التربوية الإسلامية

تهاني محمد براك الصاعدي
قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: th٢٢٢@windowslive.com

ملخص البحث:

تسعى الدراسة الحالية إلى بيان موقف النظرية التربوية الإسلامية من النظرية النسبية، وإيضاح كيفية نشأة النظرية النسبية الثقافية في الفكر الغربي الحديث، كذلك إبراز التطبيقات النظرية النسبية في العصر الحديث بالإضافة إلى تقديم موقف النظرية التربوية الإسلامية من الحقيقة والقيم الأخلاقية. لما كانت النسبية الثقافية تعد من الظواهر المرتبطة بالمعرفة الإنسانية، فإن ذلك يقتضي استخدام المنهج الوصفي إلى جانب المنهج المقارن في نقد النسبية في ضوء النظرية التربوية الإسلامية، كما تم اتباع المنهج التاريخي في تتبع نشأة النظرية النسبية. أظهرت النتائج أن النظرية النسبية الثقافية الحديثة ظهرت في عصر ما بعد الحادثة وأضفت النسبية على القوانين الطبيعية، ومنها انتقلت النسبية إلى العلوم الاجتماعية. تقوم النظرية النسبية على رفض القطعيات والثوابت من الحقائق والقيم الأخلاقية، بردهما إلى معايير أخرى كالعقل والمنفعة والمجتمع والضمير، وذلك بهدف انتزاعها من مصدرها الحقيقي وهو الدين. تأتي نسبية الحقيقة والقيم الأخلاقية متوافقة مع الفكر المادي. تتعارض النظرية النسبية مع النظرية التربوية الإسلامية. إن الحقائق والقيم الأخلاقية في النظرية التربوية الإسلامية لا تتصادم مع واقعية الحياة، وبشرية الإنسان، يمثل ثبات الحقائق وإطلاقتها ضرورة دينية لاشتمال الإسلام على جملة من الحقائق في التوحيد والكون ونحوها، تعد القيم الأخلاقية ثوابت في النظرية التربوية الإسلامية، لوجود قيم متعالية جاء الإسلام بتشريعها. وقد أوصت الدراسة بالتأكيد على الثوابت الدينية من الحقائق المعرفة والقيم الأخلاقية، وعرضها للمتعلمين بطريقة معاصرة، تلبي احتياجات المتعلم وتجيب على تساؤلاته في ظل الانفتاح المعاصر وإشكالاته.

الكلمات المفتاحية: النظرية- النسبية- الفكر الغربي الحديث- الحقيقة والقيم الأخلاقية- النظرية التربوية الإسلامية.

Relative Theory in Light of Islamic Educational Theory

Tahani Muhammad Barak Al-Saadi
Department of Islamic and Comparative Education, College of Education, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia.
E-mail: th٢٢٢@windowslive.com

Abstract:

The current study aims to elucidate the position of Islamic educational theory on relativism, clarify the emergence of cultural relativism in modern Western thought, highlight the practical applications of relativistic theories in the modern era, and present the Islamic educational theory's stance on truth and moral values. As cultural relativism is a phenomenon linked to human knowledge, the study employs a descriptive and comparative approach to critique relativism in the light of Islamic educational theory. The historical method is also employed to trace the origins of relativistic theory. The results indicate that modern cultural relativism emerged in the post-Enlightenment era, introducing relativity to natural laws and extending its influence on the social sciences. Cultural relativism is founded on the rejection of certainties and constants in facts and moral values, attributing them to alternative criteria such as reason, utility, society, and conscience. This is done with the aim of extracting them from their true source, which is religion. The relativity of truth and moral values aligns with materialistic thinking. However, this relativistic theory contradicts Islamic educational theory. In Islamic educational theory, facts and moral values do not clash with the realities of life and human nature. The stability of facts and their universality is a religious necessity, given Islam's encompassing truths in monotheism, the cosmos, and beyond. Moral values are constants in Islamic educational theory, grounded in the existence of elevated values legislated by Islam.The study recommends emphasizing religious constants as known facts and moral values, presenting them to learners in a contemporary manner that meets their needs and addresses their questions within the context of contemporary openness and challenges.

Keywords: Relativity Theory- Modern Western Thought- Truth and Moral Values- Islamic Educational Theory.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجهم واقتفى آثرهم إلى يوم الدين

إن الإنسان الأول في محاولته لمعرفة ما يدور حوله، وتحسين معيشته وإدراك الغاية من وجوده، وأسباب ما يحدث حوله، كل ذلك أدى إلى الارتقاء بعقله، وإجراء العديد من القوانين والعلل التي تفسر ما حوله، وقد أمده الله بالوحي الذي أجاب عن الكثير من تلك التساؤلات، كما وهبه العقل فأصبح أكثر معرفة لما يحدث حوله من ظواهر طبيعية، وإدراك لأسرار وجوده، ومعرفة بالكثير من القوانين التي أوصلته إلى اليقين الذي حقق من خلاله تطلعاته واكتشافاته، ويعزى ذلك لإدراك عاملين:

العامل الأول: إدراك الإنسان أن ما يحيد به من ظواهر الطبيعة تحكمه قوانين وأسباب، فآمن بقانون السببية في إدراك الأشياء وتفسيرها ومحاولته تطويرها، وما الاكتشافات العلمية إلا نتيجة لهذا القانون وهو قانون السببية؛ حيث وجود الاثر والمؤثر في العلاقات الإنسانية وحركه التاريخ وعلاقات المجتمع، وهو قانون حرك عقله نحو التفكير؛ وبالتالي السعي في تحقيق النتائج المرجوة.

العامل الثاني: ثقة الإنسان بعقله، وقدرته على التوصل إلى العلل الكامنة في العلاقات المختلفة في الكون، وقدرته على اكتشافها، الأمر الذي يسهم في سعادته وتحقيق مزيد من التكييف له، ودفعه إلى البحث وتحصيل المعرفة.

إن هذا المبدأ العظيم وهو مبدأ السببية، يعد واحداً من المبادئ الأولية التي أودعها الله في العقول البشرية، كيما تقودهم إلى الاعتراف بوجود الخالق، ذلك أن هذا الكون البديع لابد له من محدث وصانع، ثم أن فكرة السببية تقود إلى تحصيل اليقينيات، والاعتراف بها، وإلى التفكير فيما وراء الطبيعة، مما يؤدي إلى ضرورة البحث عن الخالق والإله، فكان ذلك مدعاة إلى التشكيك في القانون وما إذا كان يوصل الى العلل بطريق موثوق، ومن هنا ظهرت فكرة النسبية، للتشكيك في تلك النجاحات المتزايدة التي أوصلهم إليها قانون السببية، فشككوا في نتائجه المعرفية، ولما عظمت الثقة فيه لكونه أصبح مفهومًا أساسيًا في التجربة الإنسانية، وأصبحت الحتمية شاملة،" ظهرت إشكالية هل قانون العلية (السببية) فكري ومستمد من العقل

الإنساني؟ أم من التجربة كنتيجة لها وليس دافعًا وسببًا للتجارب مثلما يؤكد الفلاسفة الميتافيزيقية " (١)، وذلك لإثارة التناقض في الحقائق اليقينة التي توصل إليها الإنسان من خلال قانون السببية أو حتى الدين، ومن هنا، رأت الباحثة أهمية البحث في هذه النظرية للكشف عن حقيقتها ومدى تناقضها مع النظرية التربوية الإسلامية.

موضوع الدراسة:

تتسم المعرفة والقيم بدورهما المركزي في استقرار الأمم والمجتمعات، وتلعبان دورًا هامًا في مسيرة حضاراتها، حيث تشكل المعرفة والقيم في الإسلام بنيتهما الروحية والثقافية. ولذا، نجد أن العدو دائمًا ما يستهدفهما، حيث يسعى لإلغائهما وخلق واقع ثقافي جديد، بهدف الحفاظ على وجوده وتحقيق أهدافه الاقتصادية والحضور الاستعماري في البلدان الإسلامية.

وفي الزمن المعاصر، اختلفت أساليب الأعداء في القضاء على أمة من الأمم، حيث أصبحت تتخذ ملامح وطرقًا غير مباشرة، تستهدف العقيدة والقيم والأخلاق. لقد سعت القوى العالمية إلى نشر ثقافة النسبية لتجبر الأمم على وضع معارفها وقيمها وثقافتها تحت التساؤل والتشكيك والتأويل، بهدف تجاوزها وتهميشها. ونشاهد ذلك في التشكيك في الثوابت العقائدية والقيمية لدى المسلمين والتطاول على مقدساتهم، سواء بزعم النزاهة والموضوعية في بعض الأحيان أو بزعم النسبية في أحيان أخرى.

وإن ذلك الاختراق المعرفي هو من أخطر ما يهدد النظام المعرفي الإسلامي، إذ أن التنازل عن الدين والقيم يعتبر في الحقيقة تنازلًا عن الذات الحضارية للأمة، فقد تباد الأمم ثم تنبعث من جديد، لأنه ما زال في قيمها رمق، فمهما ضاقت الأحوال، وتأزمت الأمور فإن ذلك لا ينبغي أن يكون مسوغا للوقوع في التجاوزات الأخلاقية لدى المسلم، وأن تعمق الهزيمة الحضارية مدلولاتها في معارفنا وأخلاقنا ونفوسنا.

في المقابل، يستند النظام المعرفي الإسلامي إلى مرجعية إلهية، متعالية على الزمان والمكان، مما يوفر له حماية من السقوط في وحل التحديات المعاصرة ومن الخضوع والاستسلام لها، أو التنازل عنها بدافع من المصلحة الذاتية أو الضغوط المعيشية. فارتباط المسلم بالمنهج الرباني يشده دائمًا نحو عالم الحق والمثل والقيم،

(١) موسى، أشرف بأي منطق نفكر، القوانين بين الحتمية والنسبية. مصر: مجلة المسلم المعاصر. ٢٠١٤ م. السنة ٣٨، العدد ١٥٢. ص ٤٤.

ويدفعه باتجاه إيقاظ الأهداف الكبرى بداخله، من تحقيق العبودية لله تعالى، وبناء الحضارة الإسلامية وتحقيق العمران.

لذلك، ينبغي ألا يتوقف الاهتمام بالمعرفة والقيم الإسلامية، ويجب أن يبقى إيقاظ الوعي حولها مستمرًا. يحتاج المسلم أيضًا إلى ترقية معارفه وقيمه بما يتناسب مع ظروفه وأحواله النفسية والاجتماعية والحياتية، ويجب أن يكون قادرًا على التكيف الأمثل مع تلك الظروف دون أن يعبث بثوابته العليا، وأهدافه الكبرى، وقضاياه المصيرية. ولابد من تحقيق مزيد من الثقة في قيمنا، والاستناد لعقيدتنا وثوابتنا، والوعي بالواقع الذي نعيشه والتحديات التي تنتظرنا، ولذا اتجهت الباحثة لدراسة النظرية النسبية الثقافية في ضوء النظرية التربوية الإسلامية.

أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة للإجابة على السؤال الرئيس التالي:

ما موقف النظرية التربوية الإسلامية من النظرية النسبية؟

وتتفرع منه الأسئلة التالية:

١. كيف نشأت النظرية النسبية الثقافية في الفكر الغربي الحديث؟
٢. ما تطبيقات النظرية النسبية في العصر الحديث؟
٣. ما موقف النظرية التربوية الإسلامية من الحقيقة والقيم الأخلاقية؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. بيان موقف النظرية التربوية الإسلامية من النظرية النسبية.
٢. إيضاح كيفية نشأة النظرية النسبية الثقافية في الفكر الغربي الحديث.
٣. إبراز التطبيقات النظرية النسبية في العصر الحديث.
٤. تقديم موقف النظرية التربوية الإسلامية من الحقيقة والقيم الأخلاقية.

أهمية الدراسة:

في ظل التحديثات المعرفية المعاصرة التي تواجه الجيل المسلم تبقى الحاجة متجددة لدراسة تلك التحديات والوقوف على سبل مواجهتها، والتي من أبرز ملامحها:

١. تنميط المعرفة والقيم لتوحيدها عالميًا، وصهرها في نمط واحد، وهو نمطًا تحدده القوى العالمية الكبرى، ويستهدف في ذلك إزاحة الدين وهدم الأخلاق والتشريعات الإسلامية المختلفة. هذا التنميط أصبح له مؤسسات ورموز تتخذ من الإعلام

ووسائل الاتصال الحديثة أداة لها، إذ أصبحت الأمة الإسلامية في عصر العولمة تتعرض لوسائل ونظريات خفية تنازعها خصوصيتها الإيمانية والأخلاقية.

٢. التوجهات الحديثة في الترويج للنسبية الثقافية وفقًا للرؤية الغربية، والتي يسعى إليها بعض المؤلفين في الفكر الإسلامي، والتي أسهمت في إلحاق الضرر بالإطار المعرفي والقيمي للمنظومة الإسلامية، معتقدين أن ذلك غاية التمدن والطريق إلى الحضارة، ونفض التخلف عن الأمة، وإعادتها إلى حركة التاريخ بفاعلية.

ومن هنا تبرز الحاجة لمثل هذا النوع من الدراسات حيث إنها:

أ. تناولت موضوعًا يتجدد الحاجة إليه بفعل التحديات المتزايدة التي تواجه المنظومة المعرفية والقيمية الإسلامية نتيجة للاختراق الثقافي.

ب. سعت إلى إبراز دور التربية في تجديد الوعي المعرفي والقيمي من خلال بيان خطورة المخططات التي تستهدفهما، سواء كانت من الداخل أو الخارج، والدعوة إلى تفعيل دور النظرية التربوية الإسلامية في تعزيز جانبي المعرفة والقيم، بما يحفظ للمسلم هويته وخصوصيته الإسلامية.

ج. ستساعد هذه الدراسة بإذن الله تعالى المسئولين في التربية والمهتمين بمعارف وقيم الجيل المسلم في إعادة تشخيص الواقع الفعلي للمعرفة والقيم في العصر الحديث، وتسليح المتعلمين بسبل مواجهة مظاهر الاختراق الثقافي.

منهج الدراسة:

لما كانت النسبية الثقافية تعد من الظواهر المرتبطة بالمعرفة الإنسانية، فإن ذلك يقتضي استخدام المنهج الوصفي والذي جاء في تعريفه بأنه: « يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفًا يعبر عنها تعبيرًا كيفيًا أو تعبيرًا كميًا» (١)، إلى جانب المنهج المقارن في نقد النسبية في ضوء النظرية التربوية الإسلامية، فقد جاء في تعريف المنهج المقارن بأنه: دراسة الظاهرة في إطار الشخصية القومية أو الايدلوجيا العمة أو غيرها من المحددات والأطر والمفاهيم التي تصلح لذلك، ورد الظاهرة على سياقها التاريخي وإطارها الثقافي، لمعرفة الأسباب التي أدت إلى تكوينها

(١) عبيدات وآخرون. ذوقان. البحث العلمي، مفهومه، وأدواته، وأساليبه. الرياض: دار إشراقات. ١٤٢٤ هـ ص١٧٩.

أو تطورها بالوضع الذي هي عليه الآن أو وقت دراستها (١)، كما تم اتباع المنهج التاريخي في تتبع نشأة النظرية النسبية، والذي جاء بمعنى: تتبع أدوات تاريخية ثم الحكم عليها، أو جمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة الماضي وأحداثه (٢) .

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة الحالية على النسبية في جانبي الحقيقة والقيم الأخلاقية في الفكر الغربي دون تتبع تطبيقاتها في الفكر العربي، ونقدها من منظور النظرية التربوية الإسلامية.

مصطلحات الدراسة:

تضمنت الدراسة مصطلحا رئيس وهو النظرية النسبية، وقد جاء في تعريف النسبية في اللغة: تأتي بمعنى العزو والإضافة، تقول: نسبه إلى كذا أي عزاه، وانتسب إلى أبيه أي اعتزى إليه، ويقال بالنسبة إلى كذا أي: بالإضافة إليه (٣).

والنسبي في اللغة هو: الشيء المنسوب لغيره، وعند ذكره يقرن به صفة أو شرط أو زمان أو عدد، أو شيء يشبه ذلك (٤)، وأقرب هذه المعاني اللغوية للمعنى الاصطلاحي المقصود هو: الإضافة، فالدلالة النسبية أي الدلالة الإضافية والاعتبارية (٥)، والكلام في النسبي هو من باب أن الشيء مقيد بغيره ومقارن به أو مقاس عليه، وهو عكس المطلق غير المقيد ولا يقارن بغيره ولا يقاس عليه.

وأما النسبية في الاصطلاح فلها عدة معاني:

المعنى الأول: الصفة الإضافية التي تختلف بحسب المتعلقات والأمور الخارجية، وذلك مثل القلة والكثرة ، والكبر والصغر، والظهور والخفاء، والسرعة والقدم، والجدة والأولية والأخرية، والتطويل والتخفيف والقرب والبعد، كوصفنا

---

(١) بكر، عبد الجواد. البحث المقارن بحوث ودراسات. الاسكندرية: دار الوفاء. ص١٣.

(٢) زايد، فهد خليل. أساسيات منهجية البحث في العلوم الإنسانية. الأردن. دار النفائس. ١٤٢٧هـ. ص ٦٧.

(٣) تهذيب اللغة ١٢ .١٣، تاج العروس ٢٦٠ / ٤ .٢٦٥

(٤) ابن فارس. المرجع الصاحبي في فقه اللغة. القاهرة: المكتبة السلفية. ١٣٢٨هـ. ص ١٤٦.

(٥) مخدوم، كرامة الله. نظرية النسبية في دلالة الألفاظ دراسة أصولية نقدية. الرياض: مجلة الجمعية الفقهية السعودية. ٢٠١٥ م. ص١٩٨

الجمل مثلا بالكبر إذا قارناه بالقطط ويوسف في الصغر إذا قارناه بالفيل، وإذا قال العلماء هذا الشيء من الأمور النسبية والإضافية فإنهم يعنون أنه غير مطرد، ولكنه يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأماكن وسائر المتعلقات، كقولنا في صلاه الفريضة أداءها في المسجد بالنسبة للرجل، وفي البيت بالنسبة للمرأة وهكذا، وتقابل النسبية الصفة الحقيقية والذاتية وهي: الصفات الثابتة والقائمة بذات الموصوف ولا تعلق لها بالأشياء الخارجية كالسواد والبياض، والصلابة والسيولة، والحرارة والبرودة (١).

والمعنى الثاني: الصفات والأفعال التي لا تقع إلا بمتعدد، ولا تتصور إلا بين اثنين فأكثر، ولا تقع من الواحد كالنكاح والزنا والخصومة والبينة، ومنها النسبة المعقولة إلى نسبة أخرى معقولة بالقياس على أخر؛ فلا يتعقل إلا بتعقل الغير مثل الأبوة والبنوة والزوجية، قال بعض العلماء الأمور النسبية تستدعي وجود أمرين لتتحقق بينهما في النسبة (٢).

فالنسبي بوجه عام هو المقيد بغيره المرتبط به، وبوجه خاص ما ينسب إلى غيره ولا يتعين إلا مقرونا به (٣).

ومعنى نسبية المعرفة: أي أن كل معرفة تطلق على علاقة شيء بأخر أو على علاقته بالذات العارفة (٤)، ومذهب النسبية: هو مذهب يرى أن المعارف والقيم الإنسانية ليست مطلقة بل تختلف باختلاف الظروف والاعتبارات، ومنها النسبية الأخلاقية حيث يرى أصحاب هذا الرأي القول بأن فكره الخير والشر تختلف باختلاف الأزمان والجماعات (٥).

وقد عرف المسيري النسبية بقوله: النسبي ما ينسب إلى غيره ويتوقف وجود عليه، ولا يتعين إلا مقرونًا به، وهو عكس المطلق، وهو مقيد وناقص ومحدود ومرتبط بالزمان

---

(١) مخدوم. مرجع سابق. ص ٢٠٨. ٢٠٩.

(٢) مخدوم. مرجع سابق. ص ٢٠٨. ٢٠٩.

(٣) وهبه، مراد. المعجم الفلسفي. ١٩٧٩م. ط٣. ص ٤٤٤.

(٤) المرجع السابق. ص ٢٠٠.

(٥) المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. القاهرة: دار الشروق. ١٩٩٩م. ج١. ص ٥٩

والمكان يتلون بهما، ويتغير بتغيرهما، ولذا فالنسبي ليس بعالمي (١).

وتقصد الباحثة بالنظرية النسبية في هذه الدراسة أنها: النظرية التي ظهرت على يد السفسطائيون قبل الميلاد، ثم ظهرت بفكر جديد فيما سمي بعصر ما بعد الحداثة في الفكر الغربي المعاصر، وتقوم على رفض وجود المطلقات (الثوابت) من الحقائق والقيم الأخلاقية، وادعاء تغيرها تأثرًا بعوامل عدة كالزمان والمكان والأشخاص.

الدراسات السابقة:

دراسة الحارثي (٢٠١٢م)، بعنوان: (نسبية الحقيقة في الفكر الليبرالي وانعكاسها على القيم التربوية) (٢) وقد استخدم المنهج الوصفي، وهدفت الدراسة إلى التعريف بنسبية القيم، ونقدها من خلال البحث العلمي، تبين انعكاس هذه الفكرة على عقيدة المسلم وأخلاقه وقيمه، المساهمة في البحث العلمي بما يؤصل ويوضح هذه الفكرة ، ومن نتائجها: أن الفكر الفلسفي والفكر الليبرالي المعاصر ينطلق من مرتكزات واحدة في الفلسفة النسبية وهي ان الحقائق ليس لها ثبوتية مطلقة خصوصا القيمية ومنها وتختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى آخر، أن النسبية في الأمور المختلف عليها خلافا سائغ له حظ من النظر وفق ضوابط الخلاف، ومن توصياته: إيجاد مراكز متخصصة في دراسة الأفكار الفلسفية الليبرالية، أن يتم دراسة الأفكار الليبرالية في المناهج الدراسية في المرحلتين الثانوية والجامعية.

دراسة الشوبكي (٢٠١٣م)، بعنوان: (النسبي والمطلق في مفهوم الدين والحق والأخلاق) (٣). وقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي، وتهدف الدراسة إلى بيان نسبية الدين والحق والأخلاق عند مفكري الغرب، وبيان الحق والدين والأخلاق عند علماء المسلمين، ومن نتائجه: النسبي والمطلق أمران متناقضان، ولقد اتخذ مفكري الغرب

---

(١) المرجع السابق. ص ٥٩.

(٢) الحارثي، مسفر عبد العزيز. نسبية الحقيقة في الفكر الليبرالي وانعكاسها على القيم التربوية. جامعة أم القرى. كلية التربية. ٢٠١٢م.

(٣) الشوبكي، محمود يوسف. النسبي والمطلق في مفهوم الدين والحق والأخلاق. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية. غزة: شؤون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية. ٢٠١٣م.

من الدين والغيب بأنه نسبي وأن ما جاء به الدين لا يعدو أن يكون آراء تحمل الصواب والخطأ، ويترتب على القول بنسبية الحقيقة القضاء على القيم والمثل والأخلاق، وفيه رد للإنسان إلى الإباحية والانحلال والشذوذ والانحطاط، ومن التوصيات: على العلماء بيان مواقف مفكري الغرب وزيفهم وتناقضهم والرد عليهم، وضرورة العمل الجاد لإعادة الثقة المسلمين بدينهم من خلال بيان حقائق هذا الدين.

دراسة الخضيري (٢٠١٥ م)، بعنوان: (نسبية الحقيقة دراسة عقدية وفكرية) [١]. وقد استخدم الباحث المنهج التحليلي النقدي، والمنهج التاريخي في تتبع مراحل نشأة النسبية، ومن نتائج الدراسة: أن المصطلحات المتعلقة بالفكر عالمية الطرح والاستعمال، الأمر الذي يفرض ضرورة تحريرها وضبط معانيها، ومنها أن مصطلح نسبية الحقيقة يراد بها اعتبار الحقائق المعرفية والمكونات العقلية ليست ذات وضعية حقيقة مطلقة مشتركة وإنما تخضع للمؤثرات والقيم المختلفة، ومن التوصيات: التأكيد على أهمية تحديد المصطلحات، وتكوين هيئة إسلامية عالمية متخصصة تعنى بجمع المصطلحات الحادثة وتحريرها، الاعتناء في الدورات العلمية والتثقيفية وكل وسائل الدعوة والتعليم بيان خطورة هذا المذهب النسبي.

أوجه التشابه والاختلاف وكيفية الاستفادة:

اتفقت جميع هذ الدراسات مع الدراسة الحالية في كونها تناولت موضوع نسبية الحقيقة والقيم، وانعكاساتها على الفكر الغربي المعاصر، بينما اختلفت جميعها عن الدراسة الحالية في كون تلك الدراسات تناولت أيضًا انعكاساتها على تجديد الفكر الإسلامي، إلى جانب أن دراسة الخضيري والشوبكي تختلف عن الدراسة الحالية في كونها دراسة تربوية بينما تلك الدراسات هي دراسات عقدية وفكرية، أما دراسة الحارثي فقد اقتصرت على النسبية في الفكر الليبرالي دون غيرها من الاتجاهات الفلسفية الأخرى، وقد استفادت الباحثة من تلك الدراسة في تتبع نشأة ومبررات النسبية الثقافية، ومظاهرها، وأبرز روداها وفلاسفتها في الفكر الغربي، وموقف الفكر الإسلامي منها.

---

(١) الخضيري، محمد عبدالله. نسبية الحقيقة دراسة فكرية عقدية. مجلة البحوث والدراسات الشرعية. مصر. ٢٠١٥م.

الإطار النظري:

المحور الأول: نشأة النظرية النسبية في الفكر الغربي الحديث

أولًا: النسبية لدى السفسطائيين:

النظرية النسبية جذورها قديمة، فهي مقولة ظهرت لدى فلاسفة اليونان مثل بروتاغوراس وهرقليطس في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد، حيث كانوا ينكرون وجود حقائق ثابتة، ويرون أن الحقيقة نسبية بحسب الأشخاص، وأشهر فلاسفة السفسطائيين: بروتاغوراس، قد ألف كتابًا بعنوان: (الحقيقة)، وشكك في وجود الآلهة واعتبر الإنسان مقياس الأشياء جميعًا(١)، ومن آراءه الفلسفية يذكر بروتاغوراس في كتابه عن الحقيقة: (أن الانسان هو مقياس الأشياء جميعا، وهو مقياس وجود ما يوجد ومقياس وجود ما لا يوجد فإذا قال أن الشيء الفلاني موجود فهو موجود بالنسبة له، وإن قال أنه غير موجود فهو غير موجود بالنسبة له) (٢)، كما يقول أيضا: (الإنسان مقياس الأمور في وجودها وفي عدم وجودها ولا يتعدى هذا الحكم الى غيره)، يرى السفسطائيون: أن ما يراه الإنسان حق فهو حق بالنسبة له وما يراه باطل فهو باطل بالنسبة له، فهدموا قواعد الأخلاق وأنكروا الإنسان حقائق الأشياء(٣)، ورد سقراط وافلاطون ومن بعده ارسطو على تلك المحاولات السلبية والعقيمة للتشكيك في المعرفة " (٤).

وعلى هذا يتضح أن التشكيك بدا في المطلق وإلحاق النسبية بالفضائل الأخلاقية والعلم وقوانين التفكير مبكرًا في عصر اليونان، وكان التيار السفسطائي محاربًا لكل اليقينيات والحتميات تارة بالإنكار التام، وتارة بالتشكيك المطلق، وتارة بأن يدعي بعضهم أن الحقيقة لا تتعدى وجهة الشخص الواحد فيها، إلى أن يتم تعميمها بين جميع الأفراد، وبالتالي فلكل شخص مقياسه وميزانه للحقيقة.

---

(١) الخضيري، مرجع سابق. ص١٧٦.

(٢) مخدوم، مرجع سابق. ص ٢٠٤.

(٣) الخضيري، مرجع سابق. ص ١٥٧

(٤) موسى، أشرف بأي منطق نفكر، القوانين بين الحتمية والنسبية. مصر: مجلة المسلم المعاصر. ٢٠١٤ م. السنة ٣٨، العدد ١٥٢. ص٤٦.

وترجع النسبية السفسطائية إلى أمرين [١]:

١. النسبية الذاتية، وتعني الشك في يقين الإدراك الحسي الذاتي، ومطابقته للواقع، والطعن في القدرة الحواس على نقل الموضوعات الخارجية.

٢. النسبية الموضوعية، وتعني نفي حقائق الأشياء الخارجية الثابتة، وردها إلى الذات، فليس هناك حقائق موضوعية يشترك فيها الناس، ولا مرجع ترجع إليه المعطيات الخارجية إلا الذات.

وقد رد عليهم ابن تيمية رحمه الله حين قال: " حكي عن بعض السفسطائية أنه جعل جميع العقائد هي المؤثرة في الاعتقادات، ولم يجعل للأشياء حقائق ثابتة في نفسها يوافقها الاعتقاد تارة ويخالفها أخرى، بل جعل الحق في كل شيء ما اعتقده المعتقد، وجعل الحقائق تابعة للعقائد. وهذا القول على إطلاقه وعمومه لا يقوله عاقل سليم العقل " (٢)، وقال أيضا: " هذا المذهب أوله سفسطة وآخره زندقة؛ يعني: أن السفسطة جعل الحقائق تتبع العقائد كما قدمناه ... وأما كون آخره زندقة فلأنه يرفع الأمر والنهي والإيجاب والتحريم والوعيد في هذه الأحكام، ويبقى الإنسان إن شاء أن يوجب وإن شاء أن يحرم، وتستوي الاعتقادات والأفعال؛ وهذا كفر وزندقة " (٣).

ثانيًا: النسبية في عصر ما بعد الحداثة

بعد أن تعززت اليقينات في عصر الحداثة من خلال قانون السببية والعلية، وانتشر اليقين في كثير من الحقائق العلمية، أتى التشكيك في تلك اليقينات في عصر ما بعد الحداثة، وقد تأثر ظهور النسبية الفلسفية بظهور النسبية في الفيزياء والتي مثلت ثورة علمية كبيرة، فالنسبية في هذا العصر كانت على نوعين، النظرية النسبية في الفيزياء على يد اينشتاين، ثم ظهرت النسبية الثقافية في عصر ما بعد الحداثة.

أ. النظرية النسبية في الفيزياء:

النسبية التي برزت في العصر الحديث كنظرية في الفيزياء، وضعت لتفسير بعض ألغاز الطبيعة التي أخفقت الفيزياء الكلاسيكية في حلها، ولكنها سرعان ما تدخلت في جميع قوانين الطبيعية، كذلك تنبأت بحدوث ظواهر في الطبيعة لم تكن

---

(١) كرم، يوسف. تاريخ الفلسفة الحديثة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. ط٤. ص ٢٣٩.

(٢) ابن تيميه. مجموع الفتاوى. جمع: عبد الرحمن العاصمي الحنبلي. دار الرحمة. ص (١٩/ ١٣٥).

(٣) المرجع السابق. ص (١٩ / ١٤٤. ١٥٥).

معروفة وقت تحقق بعض منها بعد ذلك، وعالجت مسالة قياس السرعة وكذلك الطول أو المسافة من الأجسام المادية المتحركة، من خلال اعتبار أن سرعة أي جسم يقيسها شخص ثابت تختلف من السرعة التي يقيسها شخص متحرك لنفس الجسم، ولذا فان السرعة وبالتالي المسافة تعتمد على حالة الراصد الذي يقوم بقياسها، بالنسبة له وماذا كان ثابتًا أم متحركًا، لما كنا نعيش على كوكب دائم الحركة لذا، فإن أي سرعة نقيسها للجسم المتحرك ليس من المحتوم أن تكون دقيقة وصحيحة، وهي قد تكون كذلك ولكن بالنسبة لكوكبنا المتحرك فقط، ومن هنا نبعت النسبية نسبية السرعة والمسافة، ومن هنا تطرقت لمسالة الزمان والمكان وانتقدت الطرق السابقة في قياسهم لها، وقلبت المفهوم عن هذين العاملين تمامًا أي أنها رفضت مفهومي الزمان والمكان من وجهة نظر الفيزياء الكلاسيكية، وصاحب النظرية هو ألبرت اينشتاين، ولد بألمانيا سنه ١٨٩٩م، وكان يكره كل المواد الدراسية والأنظمة التي من شأنها الحد من حرية التفكير، وكان محبًا للرياضيات والفيزياء، ويرى فيها التوافق والانسجام، ترك المدرسة، والتحق بأخرى متخصصة في الرياضيات، وغير مجرى العلم الذي يدين به علماء عصره بوضعه النظرية النسبية الخاصة ونظرية الكم ونظرية الحركة البراونية، ومن مقولاته الشهيرة في النسبية: (أننا نستطيع الكلام عن حركه الجسم المادية فقط بالنسبة إلى جسم الأخر، وأي مجموعة من المحاور يمكن الرجوع إليها بالنسبة إلى محاور أخرى) (١).

تعد النظرية النسبية لاينشتاين واحدة من أهم النظريات التي أحدثت ثورة فكرية وعلمية في مجال الفيزياء المعاصرة، كونها تمثل نقدا للفيزياء الكلاسيكية من قبيل نظريات نيوتن وجاليليو وكبلر، فضلا عن أنها تعد من أصعب وأعقد النظريات في مجال الفيزياء، كما أنها أعم نظرية في مجال العلم لحد الآن [٢]، قال لابتنز: (إن الزمان المطلق لا وجود له لأنه مستقل بذاته عن الأشياء، وهو تصور ميتافيزيقي، وأما الزمن

(١) عرض مبسط للنظرية النسبية التربية. جامعة الرياض السعودية هيئه التحرير ١٩٧٤م. ص ١١ . ١٢.

(٢) شهيد، حسين حمزة. البعد الفلسفي في نظرية اينشتاين النسبية. الناشر: العراق: آداب الكوفة. ٢٠١٥ م. ص٣٢٨.

النسبي فهو نطاق تترتب فيه الحوادث غير الموجودة مع بعضها في الحاضر) [١]، وقال باركلي : (لا يوجد سوى نوع واحد فقط من الحركة، وهي الحركة النسبية، وأن وجودها يتضمن على الأقل وجود جسمين يكون بعد كل منهما متغيرًا بالنسبة للآخرين)، فهو ينفي فكرة استقلال شيء عن شيء آخر، ويقر بوجود علاقة ضرورية بين الاجسام، وتحتاج فقط الى الزمان النسبي[٢]

ولقد اكتشف اينشتاين نظريته في النسبية الخاصة عام ١٩٠٥ م، وفي النسبية العامة ١٩١٦م، ركزت النظرية النسبية لأينشتاين اهتمامها على دراسة حركة الأجسام وفرضية الأثير ومراجعة الفلسفة التي قامت عليها نظريه نيوتن، والنظرية النسبية الخاصة: توصل أينشتاين إلى مجموعة من النتائج لحل الاشكالات الفيزيائية التي ظهرت في تلك الفترة منها: نسبية المسافة (تقلص الأطوال باتجاه الحركة)، ونسبية الزمان (تمدده تباطؤه حسب السرعة)، نسبية التوقيت، أي أن حادثتين متواقتتين تحدثان في آن واحد في أحد المراجع لا تكونان على العموم متواقتتين في مرجع واحد[٣]، ووضع قانون: (إن جميع الظواهر الطبيعية وكل قوانين الطبيعة واحدة لكل الأجسام التي تتحرك لسرعة منتظمة بالنسبة لبعضها البعض) [٤]

وأما النسبية العامة فهي: نظرية جديدة للجاذبية، رفض فيها اينشتاين الاعتراف بوجود القوة الجاذبية، وفسر ظاهرة سقوط الأجسام بواسطة الخواص الهندسية للفضاء والمكان المحيط بالأرض [٥]

كان للنظرية النسبية أثر ثوري لا ينحصر في الفيزياء فقط، وإنما تعداه لمجالات أخرى، فكانت طفرة في مجال الفكر العلمي، فالتيارات المثالية الذاتية أصبحت تبرز نسبية الفضاء والزمان ودور الراصد في علمية المعرفة [٦]

وقد كان يرى نيوتن من رواد الفيزياء القديمة . مطلقية الزمان والمكان

(١) شهيد. مرجع سابق. ص٣٢٨.

(٢) المرجع السابق. ص٣٢٣.

(٣) شهيد. مرجع سابق. ص ٣٣١.

(٤) المرجع السابق. ص٣٣٣.

(٥) المرجع السابق. ص٣٣٤.

(٦) المرجع السابق. ص٣٣٦.

واستقلاليتهما، فالزمان شيء مطلق يجري دون توقف، والمكان المطلق ذلك الإطار المجرد الخالص من كل مادية تحيط الأجسام فيه ساكنة أو متحركة، بينما جاء أينشتاين وأثبت أنه لا توجد هناك أسس منطقية لافتراض محاور مرجعية مفضلة على غيرها للقياسات الفضائية والزمانية، لأن كل مراقب يعتقد بأن محاوره هي الحقيقية والأخرى هي ظاهرية، وبذلك يتلاشى التميز بينهما، ولا يمكن أن يكون هناك سكون مطلق أو حركة مطلقة، وزعزع الثقة بالتجريبية الحسية التي تنظر إلى الأجسام والحوادث في المكان من دون أن تدرك الصلة الوثيقة بين المكان والزمان، وأن هذه الصلة ليست صلة إضافة بعد إلى أبعاد ثلاثة بل أن هذه الأبعاد الأربعة متداخلة تكون متصلًا واحًدا [1]

إن الزمان والمكان وفق الفيزياء الكلاسيكية هما كيانان اثنان صحيح مترابطان لكنهما متمايزان حتى اختص المكان بالأشياء، والزمان بالحوادث، فالزمان متصل ذو بعد واحد، وخط مستقيم من الماضي إلى الحاضر تتخذ فيه كل الأحداث الطبيعية فيه التنظيم بفعل العلية انتظاما موضوعيا مطلقا، وبالنسبة إلى جميع الراصدين إلى سابق ولاحق [2]، وقد قدم هذا الاكتشاف للفلسفية دليلا هائلا على عدم وجود شيء مطلق، وركزت على علاقة الراصد، في علاقة العارف بالمعرفة، وأنها تعكس نسبيته إليه.

ب. نظرية النسبية الثقافية:

وهي نظرية ظهرت في الفلسفة والعلوم الاجتماعية، وهي المقصودة في هذه الدراسة، وقد ظهرت النسبية في حقبتين تاريخيتين فقد ظهرت لدى السفسطائيين كما ذكرنا من قبل، ثم ظهرت مرة أخرى في العصر الحالي، وتحديدا في عصر ما بعد الحداثة، فمع انتهاء عصر الحداثة عاد مفكري ما بعد الحداثة إلى نفس فكرة النسبية، حيث اتجه الفكر الغربي إلى التشكيك في قانون السببية والحتمية، وفي الثوابت والمطلقات وإنكارها، للخروج من اليقينية الى النسبية، تحت شعارات مثل: (كل شيء نسبي)، و(التجرد المطلق)، و(الشك في المعرفة والعلم).

والنسبية تتماهى مع نظرية التطور الدارونية في أن كل شيء يتغير وكل شيء

(١) المرجع السابق. ص ٣٣٦. ٣٣٨.

(٢) المرجع السابق. ص ٣٢٨.

يتبدل، وأن الأشياء في حالة سيلان"، فقامت على التخلي عن فكرة وحدانية الحقيقة برمتها، والتعامل مع الحقيقة باعتبارها مسألة نسبية متصلة بالمجتمع والثقافة المعنيين (١)، ورفعت شعارات وقامت النسبية على جملة من المقولات والأفكار (٢):

١. الحق المطلق لا يملكه أحد.
٢. لا أحد يمكنه امتلاك الحقيقة كلها.
٣. الحق نسبي.
٤. ليس من حق أحد مصادره آراء الاخرين وأفكارهم.

وعاد النسبيون ولكن بمصطلحات ومبررات جديدة، منها (٣):

١. أن الأفكار البشرية لم تعد مضمون على أنها أفكارنا نحن.
٢. أن اللغة التي نفكر بها لا يمكن أن تشير بطريقة ذات معنى إلى العالم الذي يقع خارج ذواتنا
٣. أن معاني الدلالات اللغوية مستقلة ذاتيا تتبدل باستمرار.

المحور الثاني: تطبيقات النظرية النسبية في العصر الحديث

أولا: نسبية الحقيقة:

فبعد أن كان مصدر الحقيقة يعود إلى مصدرين هما: الوحي في الأديان السماوية أولًا، وما تم الاستدلال عليه في العلوم الطبيعية ثانيًا، تم نقل الحقيقة إلى مفهوم جديد في عصر ما بعد الحداثة، الأمر الذي أدى إلى نسبيتها، فقالوا بتعددية المصادر المضللة التي جعلوها للحقيقة، وشن المفكرين هجوما على مدعي الحقيقة وحراسها في عصر ما بعد الحادثة، بحجة أنهم يشكلون خطرًا على الحريات، وأن الاعتقاد بامتلاك الحقيقة يفضي إلى الحروب والنزاعات، يقول جون ستيوارت مل: (يرى أن التسامح يمتنع معه الاعتقاد في حقيقة مطلقة) (٤)

فقال العقلانيون بأن مصدر الحقيقة هو العقل، وتنازعوا في تفاوت العقول، فدعوا نسبية الحقيقة تفاديا للصدام، وقال التجريبيون أن مصدر الحقيقة هو

(١) السيد، رضوان. الصراع على الإسلام. بيروت: دار الكتاب العربي. ٢٠٠٤ م. ص ١١١. ١١٢.

(٢) الخضيري. مرجع سابق. ص١٥٩

(٣) موسى. مرجع سابق. ص٤٨.

(٤) وهبه، مراد. ملاك الحقيقة المطلقة. دار قباء. ص ١٩٥.

الواقع ووسيلته التجربة للتحقق من الأفكار على أرض الواقع، وأن الحقيقة هي الأفكار النافعة، وهكذا فإن تصورات ومبررات القائلين بنسبية الحقيقة وتعدديتها تتعدد بحسب التوجهات الفكرية التي كانوا يتبنونها كما سيأتي بيانه.

ففي الفكر الوضعي مثلا يجعلون الحس والواقع مصدرا وحيدا للمعرفة، وكل ما يأتي وراء الطبيعة أو الحس أو الواقع يعد خداعا للحقيقة وليس حقيقة (١)، وتقوم بإنكار كل المبادئ أو القوانين المطلقة المسلم بها سلفًا، والاعتماد في استخلاص الحقائق على مشاهدة الواقع وترابطها، وعلى التجربة الواقعية باستخدام الحواس، فالعبرة عندهم بالعلم التجريبي لا بالاجتهاد العقلي (٢).

فيما تقرر البرجماتية أن مقياس صحة الأفكار يتوقف على نتائجها، فهي بذلك تجعل الحقيقة نسبية وغير ثابتة، أي تتغير وفقا للظروف وأحوال الأفراد والمجتمعات (٣)، يقول وليم جميس: (أن الحقيقي ليس سوى النافع الموافق المطلوب في سبيل تفكيرنا تماما، كما أن الصواب ليس سوى المواقف النافع المطلوب في سبيل مسلكنا) (وأن المطلق ليس صحيحًا على أي نحو)، وترفض البرجماتية ما تسميه بالمبادئ المطلقة العامة، وترى أنها جاءت نوعا من الجمود الذي لا يتفق مع المنهج التجريبي العلمي، وترفض الافكار المسبقة ذات الطابع المطلق والعمومي باعتبارها مصادرة لمرونة العقل ودقة المعرفة، واستبدلوا مفهوم الحقيقة بالفكرة النافعة، وجعلوا الفكرة هي مقياس كون شيء حقيقة أولا، وبالتالي فالحقائق العلمية مصدر اليقين فيها واعتبارها حقيقة ليس البراهين والدلائل، وإنما المنفعة المترتبة.

فهي تحكم على الافكار والقيم والمبادئ بالصحة والبطلان لا بمعايير الحق والمنطق بل بمعايير النجاح والاخفاق في تسهيل حركة السلوك البشري نحو غاية السعادة، فمعيار الحق في القول والخير في العقل هو العمل المنتج لا الحكم العقلي، وقد ذكر وليم جميس أن الخير أو الحق كورقة النقد الزائفة تظل صالحة للاستعمال حتى يثبت زيفها (٤)، واشتهر عنها اعتناقها للنسبية في القيم والاخلاق وسهولة التحول

---

(١) البهي، محمد. الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. مكتبة وهبه. ص ٢٦٦ -٢٦٧.

(٢) راشد، علي. القانون الجنائي. دار النهضة. ١٩٧٤ . ط٢. ص ٣٦.

(٣) الخضيري. مرجع سابق. ص١٧٧

(٤) زيدان، محمود. وليم جميس. مصر: دار المعارف. ص ١٨٢.

عن المبادئ لدى معتنقيها دورانا مع المصلحة، فالأفكار والقيم والمبادئ لا ينبغي أن تعتنق بشكل مجرد وعمومي ومطلق بمعزل عن واقع الحياة وممارستها، وأن الأفكار كلها أي نظريات والفلسفات لا تجد قيمتها وحقيقتها إلا في امكانيات تطبيقاتها العملية المفيدة للحياة، ولذا فإن المعرفة والفكر ليست إلا أدوات للعمل بالنسبة لهم (١).

ويمكن بيان تناقضهم بسؤالهم هل قولكم بأن: (كل علم نسبي)، هو مطلق أم نسبي؟ فإن قالوا مطلق فقد اعترفوا بالمطلق، وبذلك يكونون قد ناقضوا أنفسهم بادعاء إطلاقية فكرتهم، فان قالوا إنها نسبية، تفقد مقولتهم قيمتها ومصداقيتها وتأثيرها، ويكون نفيهم للكليات والقطعيات والثوابت لا يخولهم الحديث عن النسبية، وإصدار حكم مطلق وهو نسبية الأشياء.

كما أدت النسبية في الفكر العربي إلى عدم قبول ما جاء به القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام، " والنظرية النسبية في تعاملها مع النص تنظر إلى مبدأ الحقيقة بأنها نسبية، ومنها الحقيقة الدينية المتمثلة بالنص القرآني أو النص النبوي، ونسبية الحقيقة القرآنية ناتجة عن تغير اللغة مفهوماتها تبعا لتغير الظروف الاجتماعية، وهنا نجد الاستعانة باللسانيات الحديثة لدعم نظرية نسبية النص" (٢)، وهي بذلك " تحاول تجاوز فهم القرون المفضلة إلى فهم محدث متعدد بعيدًا عن بنية اللغة التي نزل بها النص، وهي في هذه المحاولة لا يمكن فصلها عن الفلسفة البرجماتية وخصوصا على المستوى التطبيقي" (٣).

كما أدت إلى مجابهة النص الديني، ورد بعض أحكامه، والقول بخلاف ما جاء فيه؛ كالقول بعدم نفي الإيمان عن أصحاب الديانات الأخرى، بحجة عدم احتكار الحقيقة، ورفض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم احترام المصلحين والقدوات، ومحاولة تأويل حكم الردة وإنكاره.

---

(١) بوخينسكي، يوزيف. مدخل الفكر الفلسفي. ترجمه محمود حمدي زقزوق. دار الفكر العربي. ١٤١٦هـ. ص ٥٨. ٥٩.

(٢) السيف. خالد بن عبد العزيز. ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر. مركز التأصيل الإسلامي: جدة. ط٢. ١٤٣٢هـ ٢٠١١م. ص٢٥٧.

(٣) السيف. مرجع سابق. ص٢٥٨.

ثانيًا: نسبية القيم الأخلاقية

لقد تطورات الفلسفة الأخلاقية في الغربي والمجتمع الاوروبي على مرحلتين كبيرتين هما (١):

١.مرحلة الخروج من الفكر المسيحي الأوروبي الى مفاهيم العلم، وذلك بخلق ذاتية خاصة للأخلاق مستمدة من العقل والحياة لا من الدين فيما عرف بعصر الحداثة.

٢.مرحلة الخروج من كل القيم والمفاهيم الثابتة الفطرية إلى التحرير الكامل والدعوة إلى نسبية ربط الاخلاق بالمجتمعات والعصور من ناحية التطور والتغير وعدم الثبات، وقد بدأت في الدعوة بفصل الأخلاق عن الدين، واعتبروا أن الاخلاق مسألة نسبية تتشكل في كل عصر وأمة من خلال الظروف والعوامل الاجتماعية فيما عرف بعصر ما بعد الحداثة.

من هنا بدأت عملية الانحراف في فصل الأخلاق عناصرها الاصيل وهو الدين، إلى الارتباط بمفهوم التطور البيولوجي، فكما أن وجود الكائن البشري يعتمد على درجة كبيرة من الظروف الطبيعية والفلكية والبيولوجية والاجتماعية، وهذه الظروف تتغير فكذلك الأخلاق يجب أن تتغير، وهو ما نقلها من مفهوم الثبات، ودفعها إلى مفهوم خطير هو: أن الأخلاق تختلف باختلاف العصور، وأن الخير والشر، والطيب والخبيث يتباين ويختلف مع تبيان المجتمعات والبيئات، وأن ما يعدونه أخلاقا في مجتمع لا يعد كذلك في مجتمع آخر " (٢).

وتعود النسبية في القيم إلى اختلاف مصادر القيم في النظريات الغربية المختلفة، فبعضهم يجعل مصدر الأخلاق هو المجتمع، والبعض الآخر يجعلها اللذة والمنفعة، والبعض يجعل مصدرها العقل، وآخرين جعلوها الضمير، وسيأتي بيانها.

أما القيم التي مصدرها المجتمع فهم يرون أن العرف الاجتماعي يفرض على الإنسان ما يستحسنه من الخير وما يستقبحه من الشر، فالذي يحدد الأخلاق هو عرف المجتمع، ورواده هم أوجست كونت، ودوركايم، وليفي بريل، ويرون أنه لا يمكن وجود أخلاق مطلقة وثابتة.

---

(١) انظر الجندي، أنور. الأيدولوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام. مصر: دار الاعتصام. ص ١٤٤.١٤٥

(٢) المرجع السابق. ص١٤٦

يقول أوجست كونت: "إن موقف الإنسان إزاء الظواهر الأخلاقية لابد أن يتغير من مرحلة إلى أخرى، ومادامت الإنسانية في تقدم مستمر فإن هذه القوانين لابد أن تتغير أولا، ثم لابد أن تساير التطور، يكون نصيبها التطور المستمر، والاصلاح المطرد، وحيث أن وجود الجنس الإنساني يعتمد إلى درجة كبيرة على عدد كبير جدًا من الظروف الطبيعية الفلكية والبيولوجية والاجتماعية، وإذا كانت هذه الظروف تتغير باستمرار أيضا، ولا تبقى على وتيرة واحدة فلا يمكن ان نستغرب أن أخلاقنا يجب أن تتغير باستمرار أيضا فهي إذًا نسبية مع مركزنا ومع تكوينا " (١) .

ويعتبرون المجتمع هو الكائن الأخلاقي الأعظم الذي تصدر عن الحياة الأخلاقية، والمجتمع هو مصدر الاخلاق فقط، الذي يحق له أن يحكم على القيمة الأخلاقية في الخير والشر، يقول دوركايم أيضا: "العواطف الجماعية هي التي يتوفر فيها هذا الشرط، فإنها تخاطب ضمائرنا بلهجة مختلفة تماما لهجة العواطف الفردية المحضة إنها تخاطبنا بصوت عالي وبسبب أصلها كان لها سلطانا خاصا وقوة خاصة " (٢).

وقد طرح ليفي بريل اليهودي نظريته في كتابه (الأخلاق والعلم الظواهر الأخلاقية) فقد هاجم المفهوم القديم للأخلاق، وطرح منهجا للفصل بين المعرفة النظرية والتقديرات العلمية، وأعلن أن البحث الجديد يقتصر على دراسة الظواهر الخلقية، ومعنى ذلك أن يتلاشى مفهوم فلسفة الاخلاق بمعنى التوجه أو إلقاء الضوء على الخير والشر او إقامة مثل أعلى للمجتمع، أي دراسة النظم الأخلاقية بطريقة العلوم الوضعية، الأمر الذي يعد مساسًا بقدسية الأخلاق (٣).

وحين يكون المجتمع هو مصدر الأخلاق فهذا سيقتضي بلا شك إلى تعددية الحقيقة ونسبيتها، تبعًا لتعدد المجتمعات واختلاف ظروفها.

ومن مظاهر نسبية القيم القول بأن مصدر الاخلاق هو اللذة، فقد جعل أبيقور اللذة مصدر الأخلاق، حين قال: "ونحن نجعل من اللذة مبدأ السعادة وغايتها،

---

(١) خشاب، مصطفى. أوجست كونت. مطبعة البيان العربي. ومؤلفات الجمعية المصرية لعلم الاجتماع. ص ١٢٦.

(٢) بدوي. عبد الرحمن . الأخلاق النظرية. الكويت: وكالة مطبوعات الكويت. ص: ٦٧.

(٣) الجندي. مرجع سابق. ص١٥٠.

وإليها نسعى دون انقطاع، وفي كل شيء العاطفة هي القاعدة التي تستخدم في قياس الخير" (١)، وقال توماس هوبز: " الغريزة (الأثرة) هي أقوى الغرائز الفطرية ومن ثم ينبغي أن تكون أساس يقوم عليه الأخلاق" (٢)، ويقول جرمي بنتام: " إن علم الأخلاق يقوم على أساس الحساب والموازنة بين اللذات " (٣)، ويقول ديفيد هيوم: " إن الدافع الأساسي لسلوك الإنسان هو اللذة والألم" (٤)، وعليه فقد صبغ الأخلاق بالصبغة التجريبية، فكل ما لا يقع تحت الحس لا قيمة له.

وهؤلاء لم يحددوا نوع اللذة ولا مقصدهم بها، حيث تتعدد اللذات في الكائن البشري، بين لذة عقلية، ونفسية، وجنسية وغيرها، وهو ما أدى إلى نسبية الأخلاق بتعدد هذه اللذات وتفاوتها بين البشر.

وأما البرجماتية فترى أن القيم لا تنبع من الواقع ولا تحل مشاكله ولا توصله إلى السعادة في إطار رفضها للدين وما تسميه الميتافيزيقيا، فولدت الاتجاهات النسبية الكبرى التي زعزعت ميدان الاخلاق نفسه وجعلت القيم تتغير بتغير الواقع.

كما تتعد القيم حين يكون مصدر الأخلاق هو العقل، فمن يجعل العقل هو مصدر الحقيقة يرفض أن تكون التجربة والحس هو مصدرها، ولا النتائج والمنفعة، يقول عموئيل كانت: " لما كان العم كليا وضروريا، أي صادرا عن العقل، لزم أن الفلسفة الخلقية لا تقوم على التجربة الظاهرة، ولا على حي باطن، بل على العقل وحده، فإن العقل هو الذي يمدنا بمعنى الواجب الذي هو الركن الركين في الأخلاق" (٥).

وفي الحقيقة أن هذا التصور يشرع للنسبية، إذا أنه لما كانت العقول مختلفة فإي عقل سيتم اعتماده في الحكم الأخلاقي، فإنه ستتعدد القيم بتعدد العقول، وربما تتصادم بفعل تفاوت الأفهام والأهواء.

وسنجد أيضا النسبية لدى من قال إن من قال بأن مصدر الأخلاق هو

---

(١) بدوي. مرجع سابق. ص: ٢٧٣

(٢) موسى، محمد يوسف. تاريخ الاخلاق. مكتبة محمد علي الصبح. ص ٢٥٢

(٣) بدوي. مرجع سابق. ص:٢٤٧ . ٢٥٠.

(٤) الميداني، عبد الرحمن حبنكه. كواشف زيوف. دمشق: دار القلم. ص: ٤٣٠.

(٥) كرم. مرجع سابق. ص: ٢١٤.

الضمير، سنجد أنهم يتفاوتون في تعريف الضمير، فعرفوه بمعرفة الخير والشر، كما تم تعريفه بأنه ملكة الإقرار والاستهجان (١)، وعليه فالضمير الاخلاقي عبارة عن عاملين (٢):

١. الاسهامات العقلية والنفسية والاجتماعية، فطرية أو مكتسبة.

٢. ملكة التمييز بين الخير والشر.

وهذا الاختلاف في مفهوم الضمير يجعل من الصعب أن يكون مصدرًا للقيم، ذلك أنه سيؤدي إلى تفاوتها، وهو مدعاة لنسبيتها ودورانها مع الضمائر المتعددة.

المحور الثالث: نقد النظرية النسبية في ضوء النظرية التربوية الإسلامية

أولًا: الحقيقة في النظرية التربوية الإسلامية

تعد إمكانية تحقيق اليقين والثبات في الحقيقة أمر متقررا في النظرية التربوية الإسلامية، وهو ما يعد رفضًا للنظرية النسبية، وذلك كالتالي:

١. ثبات الحقيقة يعد مسلمة دينية:

إن الحقائق باعتبارها وحدات معرفية فإن مصدرها الوحيد هو الله تعالى، ولذلك كان الحق واحدا لا يتعدد ولا يختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص والثقافات، وتضمن العدد من الثوابت من حقائق التوحيد الطاعة والعبادة والايمان، قال تعالى: "ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"ۙ(سورة البقرة: ٢)، وكل ما أخبر الله تعالى به في القرآن الكريم من أخبار الأمم السابقة والقصص والأخبار في الواقع والكون والفلك والنجوم والأرض والنفس الإنسانية هو صدق وحق قطعي، كما قال تعالى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا" (سورة الأنعام: ١١٥) ، ودين الاسلام هو دين الحق قال تعالى: وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (سورة آل عمران: ٨٥) ، ولذلك فما أتى به الدين الصحيح وهو الإسلام من كافة الحقائق المعرفية يعد من القطعيات والثوابت التي يجب الإيمان والتصديق بها، ويحرم إنكارها أو التشكيك فيها، والقول بعدم وجود حقيقة ثابتة هو في حقيقته نقض للإيمان، حيث يكون الإقرار بوجود الله تعالى وبدينه ورسله واليوم الآخر وكافة الحقائق التي أتى بها القرآن والسنة، هي حقائق ثابتة قطعية، وأن عدم اليقين بها

(١) بدوي. مرجع سابق. ص: ٥٩، ٥٦.

(٢) المرجع السابق. ص: ٥٨.

به ينقض أصل الإيمان، فمن شك فيها فقد كفر .

والحقائق المعرفية في النظرية التربوية الإسلامية منه ما هو ثابت ومنه ما هو متغير، فأما الحقائق الثابتة فتتجلى في العقائد والمبادئ والقيم والتشريعات التي جاء بها الوحي، وما عداها من الحقائق فهو متغير أو مكتسب، يأتي نتاج تفاعل الإنسان مع الطبيعة في إطار استثماره لها، ومستخدما في ذلك أدوات المعرفة المختلفة من العقل والحس، لكنه منضبط بضوابط المعرفية الإسلامية، " فالنسبية في الإسلام تنطلق من الإيمان بأنه الله هو وحده الثابت الذي لا يتحول، وما عدا ذلك فمتغير، وهو وحده الذي يحيط بكل شيء: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (سورة الإسراء: ٨٥) ، أما نحن البشر فلا نعرف إلا جزءًا من الحقيقة. هذا يعني أنه لا توجد مطلقات خارج التاريخ، وأن المطلق يوجد في كتاب الله وخارج التاريخ، حيث إنه كتاب لا يأتيه البطل من بين يديه ومن خلفه، لأنه عبارة عن اجتهاد قد يصيب وقد يخطئ، وبذلك تكون اجتهادات البشر عرضة للنقد والحوار " (١).

وسائل تحصيل الحقيقة في التربية الإسلامية:

لقد أتاح الله تعالى أن تنتقل هذه المعرفة إلى الإنسان عن طريق التركيب الخلقي له حيث أودع الله قابلية التعلم في الكينونة البشرية بوسائل الوعي المتكاملة من قلب ونفس وعقل وحس وشعور لتصل بالعلم إلى علم اليقين، أو عن طريق التعلم المباشر لحقائق الأشياء عن طريق رسله عليهم الصلاة والسلام والكتب السماوية التي أنزلها متضمنة هذه الحقائق، لتغدو قاعدة لتصور الإنسان للكون والحياة، ويندفع بناء عليها في البحث والتحري والدراسة والتجربة (٢)، وعليه؛ فوسائل تحصيل الحقيقة هي:

١. **الوحي:** وتتسم الحقائق التي يأتي بها الوحي بأنها يقينية مطلقة غير محددة، وقد تنزه الوحي عن التأثر بالزمان والمكان.
٢. **العقل:** ويمثل أهمية كبيرة في تحصيل الحقيقة، إما بتفاعله مع المدركات الحسية، أو من خلال الاستدلال والتفكير، ولكن الحقيقة التي يتم الوصول إليها

(١) المسيري. عبد الوهاب. العلمانية والحداثة والعولمة. دار الفكر: دمشق. ط٢. ص٦٦.

(٢) الميمان، بدرية صالح. السالوس، منى علي. النظرية التربوية وتطبيقاتها عبر العصور. المدينة المنورة: الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والمذاهب. ١٤٣٥هـ ص ١٣٦.

من خلال العقل قد تكون يقينية، أو قد تكون نسبية، بحسب ما توافر لدى الشخص من الإحساس بالواقع الخارجي، وسلامة الغريزة العقلية.

٣. **الحس:** ورغم أهميته إلا الحقائق من طريقه تبقى نسبية تختلف من شخص لأخر باختلاف الظروف العلمية والثقافية والمادية والعقلية والعاطفية، وتحتاج إلى أدلة وبراهين لتصبح يقينية.

ويدعو الإسلام إلى تحقيق اليقين في الحقائق من خلال طرق منها:

أ. التأكد من المصدر الصحيح، وعدم اتباع الظن.

ب. رفض الحقيقة التي يخالطها الهوى والرغبات من اللذة والمصلحة.

ج. رفض التبعية والتقليد والخضوع لسطوة العادات والعقائد الفاسدة في المجتمع.

٢. ثبات الحقيقة يعد حقيقة فطرية:

فقد أودع الله في الإنسان مبادئ عقلية أولية يتم من خلالها البحث عن الحقيقة، وإدراك المعقولات في الكون، والاستدلال عليها، ويمنحها قدرًا من الثبات العلمي واليقينية، كقانون السببية، وقانون الأثر والمؤثر ونحوها، وقد قام الاستدلال في النظام المعرفي على تلك البديهيات العقلية، وهي المنطلق والأداة التي تم استخدامها في الاكتشافات العلمية والتجارب الكونية، فقدمت أعظم الحقائق اليقينية في مجال العلوم الطبيعية، وهو ما أكد على إمكانية تحقيق قدرًا من اليقينية في الحقائق المعرفية، " فإهدار المبادئ العقلية الضرورية، هو في حقيقته إهدار لكل عملية عقلية بشرية، وإهدار لإمكانية التواصل والإقناع بين الناس، وإهدار للعلوم الطبيعية التجريبية، فهذه جميعا لا يمكن أن تقوم إلا على قاعدة تعترف بوجود تلك المبادئ الضرورية، وتقول بقيمتها المتعالية والمتجاوزة للوجود الإنساني" (١).

٣. ثبات الحقيقة يمثل قيمة معرفية:

ذلك أن من آثار النسبية هو سقوط المعيارية، فهي تنسف كل الحقائق والمبادئ والمفاهيم والمعايير التي يتحكم إليها الناس في الحياة، وتضبط تصوراتهم، وتوجه سلوكهم، وتنتظم بها معيشتهم، لأن " النسبية تنزع القداسة عن العالم (الإنسان والطبيعة) وتجعل كل الأمور متساوية، ومن هنا يتساوى الظلم مع العدل، بحيث يغدو من المستحيل على الإنسان الفرد أن يتخذ القرار بشأن أي شيء، كما

(١) العجيري، عبدالله صالح. شموع النهار. مركز تكوين. الخبر. ط٢. ١٤٣٨هـ ص ٥٣.

يغدو تبعا لذلك من السهل اتخاذ القرارات بالنيابة عنه والهيمنة عليه سياسيا" (١)، ولذلك " فالنسبية لأنها تساوي بين كل الأمور وتسويها فهي تؤدي إلى سقوط المعيارية، أي غياب المعايير، وقد أدى هذا إلى ظهور القوة لتكون آلية وحيدة لحسم الخلافات" (٢)، فبعد أن كان من المفترض أن النسبية المعرفية والأخلاقية التي كان من المفروض أن تسهم في تحرر الإنسان وتمكنه من اثبات ذاته وفرديته، أفضت إلى العكس تماما، حين نزعت القداسة عن العالم بمكونيه الإنساني والطبيعي وجعلت كل الأمور متساوية .

ثانيًا: القيم الأخلاقية في النظرية التربوية الإسلامية:

تعد القيم الاخلاقية من الثوابت والمطلقات في النظرية التربوية الإسلامية، وإثبات ذلك يكون من عدة وجوه كالتالي:

١. ثبات القيم الأخلاقية حقيقة دينية:

ترجع النظرية التربوية الإسلامية مصدر القيم إلى الله تعالى، فهو أصل القيم ومرجعها، فالقيم تنبثق من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولذلك فهي تتسم بالثبات، وتتعالى على الزمان والمكان والثقافة والمجتمع والأفراد، وجوهر الاخلاق في الإسلام ثابت غير قابل للخضوع إلى أي عامل اقتصادي واجتماعي وسياسي، والقيم على مستويين من حيث الاطلاق والنسبية:

أ. **القيم الثابتة:** وهي القيم المطلقة لا تتأثر بتغير الزمان والمكان، وتستند إلى نص قطعي ولا مجال للاجتهاد فيها، فالقيم في حقيقتها ومكونها تتسم بالثبات، ولذا؛ فهي تتسم بالعمومية والعالمية التي تتجاوز الزمان والمكان، وثباتها ناشئ عن كونها ربانية المصدر، ولذلك يتجلى وضوحها وعدم تناقضها.

ب. **القيم المتغيرة:** هي القيم المرنة التي لم يرد نص قطعي فيها، وتأتي في إطار تلبية احتياجات الناس والعصر، لكنها تنضبط بضوابط الشريعة ولا تتعارض مع القيم المطلقة، " وتأتي من مصدر أخر وهو الاجتهاد الذي يعتبر نتاج الفكر البشري في ضوء ما جاء به القرآن والسنة " (٣)، وتتجلى مرونتها مرنة في كيفيات تطبيقها، متأثرة بالزمان

(١) المسيري. العلمانية والحداثة والعولمة. مرجع سابق. ص٥٦.

(٢) المرجع السابق. ص٥٦.

(٣) الميمان، والسالوس، مرجع سابق. ص ١٥٨.

والمكان والعلاقات والأحداث.

٢. ثبات القيم الأخلاقية ضرورية فطرية:

إن القيم تمثل ضرورة فطرية، فقد فطر الله تعالى الناس على وجود نزعة أخلاقية، تمكنهم من تميز الخير من الشر، والحسن من القبيح، " فمن المعاني الفطرية التي يجدها الإنسان من نفسه: نزعة أخلاقية متجذرة، يدرك من خلالها ليس فقط الأخلاق حسنها من قبيحها، بل ويجد من نفسه إدراكًا ضروريًا بأن لهذه القيم الأخلاقية معان موضوعية، تعطي لهذه الخلاق قيمتها الحقيقية بعيدا عن اعتبارات النسبية والإضافة " (١)، وهذه النزعة الأخلاقية ترتبط بالله تعالى، ومنه تستمد ثباتها القيمي، فقد أودع الله تعالى في كل البشر ، مثلا اعتبار الظلم والكذب والاعتداء قيما أخلاقية سيئة بإطلاق في كل مجتمع وفي كل زمان، وكذلك اعتبار العدل والصدق والإحسان ونحوها قيما حسنة بإطلاق، ويعزى ذلك إلى "=وجود الفطرة الإنسانية التي تحمل الإنسان ضرورة على التميز بين هذه القيم، وإدراك حسن العدل وقبح الظلم دون تعليم أو تنظير فلسفي، بل ويستشعر أنها متعالية ومنفصلة في وجودها عن وجوده، وليس مجرد أوصاف يطلقها البشر على جملة من الأفعال دون أن يكون لهذه الأفعال قيمة جوهرية " (٢)، وهذه النزعة الفطرية في كون الأخلاق مطلقة وثابتة هي الأكثر اتساقا مع التصور الإسلامي للإله والكون والإنسان، حيث تكتسب القيم ثباتها وقدسيتها من الله تعالى مصدر الثوابت والمطلقات في المعرفة والقيم.

٣. ثبات القيم الأخلاقية ضرورة اجتماعية

إن ثبات القيم الأخلاقية هو ما يتم من خلاله استقرار المعايير الأخلاقية، واستقرار حياة البشر، وانتظام العلاقات، ذلك أنه بانعدام الثبات القيمي، سنجد أننا أمام فوضى شاملة تسود كل أنحاء الحياة، إذ " لو لم يكن عند المرء قدر من اليقين لما أمكنه الاستمرار في الحياة. وهنا قدر من اليقين نابع من انسانيتنا المشتركة فنحن يمكننا أن نميز بين الخير والشر، نعرف أن قتل طفل للتسلية لا يتساوى مع إعطائه قطعة من الحلوى لتسري عنه. وانطلاقًا من هذا اليقين يمكن أن نتوصل إلى مرجعية نهائية إنسانية أخلاقية ندير بها حياتنا، مع الاعتراف بأن حالة النسبية والسيولة التي

(١) العجيري. مرجع سابق. ص ٥٧.

(٢) العجيري. مرجع سابق. ص ٥٩.

يتسم بها عالم المادة، النسبية المطلقة مسألة مستحيلة على المستوى الإنساني العام " (١)، ولذلك نجد أن ادعاء النسبية القيمية أدى إلى" تبرر الجريمة وتزين الجريمة وتدين الشر بصورة الخير وتزخرف الإباحة وتحرض على قبولها دون خوف وحرج " (٢)، واستهدفت هدم الاخلاق الدينية ودفع البشرية في طريق التحرر نهائيا من كل قيم الخير والفضيلة والحياة والغيرة، وهدم القانون الأخلاقي واستباحة كل محرم (٣).

النتائج:

١. ظهرت النظرية النسبية الثقافية الحديثة في عصر ما بعد الحادثة، متأثرة بالنظرية النسبية في الفيزياء، والتي أحدثت ثورة علمية كبيرة ليس في مجال الفيزياء فحسب، بل وفي مجال الفلسفة بشكل عام، وأضفت النسبية على القوانين الطبيعية، ومنها انتقلت النسبية إلى العلوم الاجتماعية.

٢. تقوم النظرية النسبية على رفض القطعيات والثوابت من الحقائق والقيم الأخلاقية، بردهما إلى معايير أخرى كالعقل والمنفعة والمجتمع والضمير، وذلك بهدف انتزاعها من مصدرها الحقيقي وهو الدين.

٣. تأتي نسبية الحقيقة والقيم الأخلاقية متوافقة مع الفكر المادي، الذي عزل الإنسان عن الجانب الروحي فيه، فقالوا بتعددية الحقائق واختلافها تبعا لتعددية الغايات المادية لدى البشر، الأمر الذي أفضى إلى سقوط المعايير في تحديد الحق من الباطل، والخير من الشر، وتصادم المرجعيات والغايات.

٤. تتعارض النظرية النسبية مع النظرية التربوية الإسلامية، ذلك أن النظرية الإسلامية في التربية قامت على جملة كبيرة من الحقائق اليقينية التي يلزم المسلم الإيمان واليقين بها.

٥. إن الحقائق والقيم الأخلاقية في النظرية التربوية الإسلامي لا تتصادم مع واقعية الحياة، وبشرية الإنسان، كونها تشتمل على ثوابت تنتظم بها حركة الحياة، ومتغيرات تستجيب لاحتياجات الإنسان في كل زمان ومكان.

---

(١) المسيري. العلمانية والحداثة والعولمة. مرجع سابق. ص٦٦.

(٢) الجندي، مرجع سابق. ص ١٥٢.

(٣) المرجع السابق. ص ١٥٣.

٦. يمثل ثبات الحقائق وإطلاقتها ضرورة دينية لاشتمال الإسلام على جملة من الحقائق في التوحيد والكون ونحوها، وهو ضرورة فطرية لأن الله قد زود الإنسان بالبديهيات العقلية التي يستدل بها على الحقائق، وضرورة معرفية لحاجة الإنسان للمفاهيم والمبادئ الثابتة التي يحتكم إليها.

٧. تعد القيم الأخلاقية ثوابت في النظرية التربوية الإسلامية، لوجود قيم متعالية جاء الإسلام بتشريعها، وهي ضرورة فطرية لكون الإنسان مزود بنزعة أخلاقية تهدي إلى مطلقات الأخلاق، وهي ضرورة اجتماعية لاستقرار الحياة.

التوصيات:

١. إبراز تهافت الكثيرة من النظريات المعرفية الحديثة للمتعلمين، وعلى رأسها النظرية النسبية، وبيان أوجه التناقض فيها، وتعارضها مع مبادئ النظرية التربوية الإسلامية، وذلك من خلال جعل نقدها من الموضوعات التي يتضمنها المحتوى في المناهج الدراسية للمرحلتين الثانوية والجامعية.

٢. التأكيد على الثوابت الدينية من الحقائق المعرفة والقيم الأخلاقية، وعرضها للمتعلمين بطريقة معاصرة، تلبي احتياجات المتعلم وتجيب على تساؤلاته في ظل الانفتاح المعاصر وإشكالاته.

٣. على المعلم أن يكون فطنا لما يتعرض له المتعلمين لديه من الشبهات المعاصرة كالنسبية، ومعالجتها معرفيا، وبتقديم القدوة الأخلاقية لطلابه، مما يعزز مبدأ الثبات القيمي.

المقترحات:

١- جراء دراسة تعنى بإبراز النسبية المتسللة إلى بعض الحقائق الدينية بشكل خاص، أو بعض القيم الأخلاقية في الفكر العربي والإسلامي.

٢- إجراء دراسة تحقق التمايز وتبرز الثوابت المعرفية في مواجهة النسبية في بعض التخصصات العلمية والطبيعية.

المراجع:

ابن تيميه. مجموع الفتاوى. جمع: عبد الرحمن العاصمي الحنبلي. دار الرحمة.

ابن فارس. المرجع الصاحبي في فقه اللغة. القاهرة: المكتبة السلفية. ١٣٢٨هـ

بدوي. عبد الرحمن. الأخلاق النظرية. الكويت: وكالة مطبوعات الكويت.

بكر، عبد الجواد. البحث المقارن بحوث ودراسات. الاسكندرية: دار الوفاء.

البهي، محمد. الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. مكتبة وهبه.

بوخينسكي، يوزيف. مدخل الفكر الفلسفي. ترجمه محمود حمدي زقزوق. دار الفكر العربي. ١٤١٦هـ

الحارثي، مسفر عبد العزيز. نسبية الحقيقة في الفكر الليبرالي وانعكاسها على القيم التربوية. جامعة أم القرى. كلية التربية. ٢٠١٢م.

الخضيري، محمد عبدالله. نسبية الحقيقة دراسة فكرية عقدية. مجلة البحوث والدراسات الشرعية. مصر. ٢٠١٥م.

الجندي، أنور. الأيدولوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام. مصر: دار الاعتصام.

خشاب، مصطفى. أوجست كونت. مطبعة البيان العربي. ومؤلفات الجمعية المصرية لعلم الاجتماع. ص ١٢٦.

راشد، علي. القانون الجنائي. دار النهضة. ١٩٧٤ . ط٢.

زايد، فهد خليل. أساسيات منهجية البحث في العلوم الإنسانية. الأردن. دار النفائس. ١٤٢٧هـ

زيدان، محمود. وليم جميس. مصر: دار المعارف.

السيد، رضوان. الصراع على الإسلام. بيروت: دار الكتاب العربي. ٢٠٠٤ م.

السيف. خالد بن عبد العزيز. ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر. مركز التأصيل الإسلامي: جدة. ط٢. ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

الشوبكي، محمود يوسف. النسبي والمطلق في مفهوم الدين والحق والأخلاق. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية. غزة: شؤون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية. ٢٠١٣م.

شهيد، حسين حمزة. البعد الفلسفي في نظرية اينشتاين النسبية. الناشر: العراق: آداب الكوفة. ٢٠١٥ م.

عبيدات وآخرون. ذوقان. البحث العلمي، مفهومه، وأدواته، وأساليبه. الرياض: دار إشراقات. ١٤٢٤ هـ

العجيري، عبدالله صالح. شموع النهار. مركز تكوين. الخبر. ط٢. ١٤٣٨هـ

كرم، يوسف. تاريخ الفلسفة الحديثة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. ط٤.

مخدوم، كرامة الله. نظرية النسبية في دلالة الألفاظ دراسة أصولية نقدية. الرياض: مجلة الجمعية الفقهية السعودية. ٢٠١٥ م.

المسيري. عبد الوهاب. العلمانية والحداثة والعولمة. دار الفكر: دمشق. ط٢. ص٦٦.

المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. القاهرة: دار الشروق. ١٩٩٩م. ج١.

موسى، أشرف بأي منطق نفكر، القوانين بين الحتمية والنسبية. مصر: مجلة المسلم المعاصر. ٢٠١٤ م. السنة ٣٨، العدد ١٥٢. ص٤٦.

موسى، محمد يوسف. تاريخ الاخلاق. مكتبة محمد علي الصبح.

الميداني، عبد الرحمن حبنكه. كواشف زيوف. دمشق: دار القلم.

الميمان، بدرية صالح. السالوس، منى علي. النظرية التربوية وتطبيقاتها عبر العصور. المدينة المنورة: الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والمذاهب. ١٤٣٥هـ

هيئة التحرير. عرض مبسط للنظرية النسبية التربية. جامعة الرياض السعودية ١٩٧٤م.

وهبه، مراد. المعجم الفلسفي. ١٩٧٩م. ط٣.

وهبه، مراد. ملاك الحقيقة المطلقة. دار قباء.